الخـــــاتمة

لقد بدأ من خلال هذه الدراسة للدور السياسى والحضارى لبربر الأندلس فـى القـرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، كيف أن البربر شـاركوا فـى شـتى النواحـى السياسية والحضارية فى المجتمع الأندلسى فى القرن الخـامس الـهجرى / الحـادى عشـر الميلادى وتوصلت إلى النتائج التالية :

تناولت بالبحث والدراسة سقوط الخلافة الأموية وقيام عصر ملوك الطوائف حتى أنتزى كـلى قائد بالأراضى التى تحت يده وكون إمارة مستقلة عن الحكومة المركزية فى قرطبة وتوصلت إلى أن البداية الحقيقية لهذا العصر هو الفتنة البربرية التى اعقبت سـقوط الدولـة العامريـة وأثبت ان الذى أطلق الشرارة الأولى لهذه الفتنة هو عبد الرحمن شنجول بن المنصور بـن أبى عامر عندما أقدم على طلب الخلافة من الخليفة هشام المؤيد وتتبعت تفجر الموقف بعـد ذلك من سائر طوائف المجتمع الأندلسى الذى أنتهى بسقوط الخلافة الأموية وتقسيم أراضـى الأندلس إلى إمارات أو دويلات مستقلة من العناصر الثلاثة المكونة للمجتمع الأندلسى وهـم البربر والعرب والصقالبه .

وتوصلت إلى تجمع الكيانات البربرية " بربر صنهاجة وبربر زناته " التى تمخضـت عن سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس ، حيث تكتل معظم البربر فى جنوب وشرق وغـرب الأندلس وأثبت أن تجمع البربر فى جنوب الأندلس حتى يكونوا قريبين من العدوة المغربيـة حيث يستطيعون الجواز منها إلى موطنهم الأصلى إذا ما أضطرتهم أحداث الأندلس إلى ذلك:

كما تناولت بالحديث أن أنهيار الدولة العامرية أدى إلى إستيلاء الخليفه المهدى ، على خلافـة قرطبة بعد عزله للخليفه الشرعى هشام المؤيد لكن الخليفه المهدى أساء إلى البربر كما كـان سبباً فى عزم البربر على الإنتقام لما حدث لهم على يد الخليفه المهدى واهل قرطبه واثبـت أن ذلك أدى إلى حدوث إنقسام خطير فى المجتمع الأندلسى حيث ترسخ العداء بين عنصـرى المجتمع البربر والأندلسيون وتوصلت إلى أن نتيجة ذلك حيث دعا البربر إلى إلتفاف حـول الأمير سليمان بن الحكم وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمستعين بالله حتى يكون السـند الشـرعى لهم ويتزعم حزبهم البربرى فى مواجهة الحزب الأندلسى الذى يتزعمه الخليفه المهدى.

وأثبت أن البربر فى فترة الفتنه البربرية أقدموا على خطوة كان لها أبعد الأثـر فـى تـاريخ الاندلس عندما إستنجدوا بقومس قشتاله سانشوغرسية فى صراعهم مع الخليفه المهدى وأثبـت ذلك أكسب النصارى الثقة فى مواجهة جيوش المسلمون على نطاق واسع بالإضافـة أنـهم عملوا على زيادة حدة إنشقاق بين الحزبين البربرى و اللأندلسى حتى يسهل عليهم بعد ذلـك

القضاء على الوجود الإسلامى فى جزيرة الأندلس مما سيكون له أكبر الأثـــر فـــى تـــاريخ الأندلس كما تتبعت أنتصار قوات الخليفه المهدى وحليفة قومس برشلونه رامول بوريل الثالث وأخيه أرمنجول قومس وأرخيل على البربر فى موقعة عقبة البقر أثبت أن البربر تحركوا بعد هزيمتهم فى إتجاه الجنوب ليرحلوا إلى المغرب مما أدى إلى تشـــجيع القـــوات المتحالفـــة " المهدى والنصارى ": على تعقبهم للقضاء عليهم نهائيا" ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن حيث تمكن البربر من إنزال هزيمة قاسية بقوات المهدى وجيوش النصارى المتحالفة معه فـــى موقعة وادى أرة حيث أثبت ان ذلك أدى إلى بقاء البربر فى الأندلس ومعاوده الكرة للإستعادة قرطبة مرة ثانية ، كما اثرة إلى الفظائع و المأسى التى أرتكبها البربر ضد الأندلســـيون فـــى أعقاب دخولهم قرطبة وضواحيها وأثبت أن ذلك راجع إلى إنتقام البربر مما حد ث لهم علـــى أيدى الأندلسيين .

وتوصلت إلى أن الخطوة التى أقدم عليها الخليفه المستعين بتقسيم أقاليم الأندلس علـــى قادة الحزب البربرى أثبت أن لها الأثر الأكبر فى أنقسام الأندلس إلى كيانات سياسية وظـــهور ما عرف بعصر ملوك الطوائف كما تتبعت التحالفات التى تمكن من خلالها على بن حمـــود المتبربر من الإنتصار على الخليفه المستعين بالله ودخوله قرطبه ومبايعة البربر له حيث تلقب بالناصر لدين الله . وأثبت قيام العامريين فى شرق الأندلس بتنصيب خليفه من المروانين من أحفاد الخليفه عبد الرحمن الناصر ولقبوه بالمرتضى ناصب على بن حمود العداء .

وتوصلت إلى أن الصراع الذى دار بينهما أنتهى بمقتل على بن حمود على يد فتيانـــه الصقالبه بإعاز من خيران العامرى حتى يتخلص منه ثم تتبعت تولى القاسم بن حمود الخلافة والصراع بينة وبين العامريين فى شرق الأندلس أثبت أنه أدى إلى قيام مملكة بنو زيرى فـــى غرناطة ورحيل زاوى بن زيرى إلى أفريقية بعد ما رأى كراهيته للأندلسيين الشديدة للـــبربر أثناء صراعه مع الخليفة المرتضى الأموى فى موقعة غرناطة حيث قرر على أثرها الرحيـــل إلى أفريقية .

ثم توصلت إلى أن الصراع بين القاسم بن حمود وابن أخيه يحيى المعتلى على خلافـــة قرطبة أدى إلى إنقسام البيت الحمودى فى الأندلس وأثبت أن هذا الصراع أنتهى بمقتل القاسم بن حمود على يد ابن أخيه يحيى المعتلى .

كما أثبت أن أنهيار الخلافة الحمودية فى قرطبة وقيامـــهما فـــى مالقـــة والجزيـــرة الخضراء كان بسبب الصراع حيث سلك كلاً منهما أساليب غير شريفة فى صراعهما للظفـــر بخلافة قرطبة ، مما أدى إلى إنتقال المعتلى إلى مالقة وقيام دولته فيها ولم يعاود إلى قرطبـــة وذلك بسبب أن أهلها ألفوا التقلب على الحكام ، وأثبت أنهم عندما دعوه إليها أرســـل مـــن ينوب عنه حتى سقطت الخلافة فى قرطبة وقامت دويلات الطوائـــف . وتوصلـــت إلـــى أن

الصراع بين الحزب البربرى والحزب الأندلسيين أخذ طابعاً عصبياً حيث تعصب كل كيان إلى بنى جلدته وخاصة بربر جنوب الأندلس وبنى يفرن فى رندة وبنى خزرون بأركش وبنى دمر بمرورو وكلهم ينسبون إلى قبيلة زناته فى أثناء صراعهم مع المعتضد بالله بن عباد الذى تمكن من الإستيلاء على هذه الإمارات البربرية فى جنوب الأندلس وضمها إلى دولته مما أدى إلى إستياء باديس بين حبوس صاحب غرناطة رغم كونه ينتسب إلى قبيلة صنهاجة العدو التقليدى لزناته فى المغرب وحتى بعد إنتقالهم إلى الأندلس واثبت أنه تعصب لبنى جلدته وأراد خروج بجيشه للأنتقام من صاحب أشبيلية وعندما لم يتمكن من ذلك عكف على شرابه وتوعد العرب الذين يقطنون دولته بالأنتقام .

مما يدفعنى إلى القول أن العصبية العنصرية كانت من أهم العوامل المؤثرة على مسرح الأحداث السياسية فى عصر الطوائف ومن أمثلة ذلك أيضاً إستياء بنى برزال من قتل إسماعيل بن عباد للبربر وطلب ابن برزال من بنى عباد لرفع السيوف عن رقابهم وكان من نتيجة ذلك تغيره على بن برزال " بنى عباد " وقد أثبت أنه مع أهمية العصبية كعامل من أهم العوامل المحركة للمجتمع الأندلس سواء بين الحزب البربرى أو الحزب الأندلسى إلا أن، المصالح الشخصية لبعض زعماء الحزب البربرى كانت تطغى فى أحيان كثيرة على العصبية العنصرية لبنى جلدتهم تحقيقاً لأطماعهم لذاتية فى توسعه رقعه أملاكهم أو الحفاظ على بلادهم من العدوان ومن أمثلة ذلك تحالف بنو برزال ، مع بنو عباد ضد بنى الأفطس وتحالف بنو برزال مع بنو عباد ضد بنو حمود وتحالف بنو زيرى مع بنو صمادح على الرغم من عداوة بنو صمادح الشديدة للبربر وذلك لكى يتفرغوا لعدو أخر .

كذلك توصلت إلى أن إستعانتهم بنصارى الشمال كان بسبب أطماعهم الشخصية للأستعانة بهم فى صراعهم مع الممالك المجاورة لتوسعة رقعة أملاكهم ولم يفطن ملوك الطوائف البربرية والعربية على حد سواء إلى هدف النصارى من مساعدتهم ، حيث لم يدركوا أنهم كانوا يساعدون فريق على الفريق الأخر حتى يتمكنوا من إتهامهم جميعاً وطردهم من جزيرة الأندلس .

وتوصلت إلى أن سقوط طليطلة كان بسبب إنشغال ملوك الطوائف عنها رغم إستنجاد أهلها بحكام الطوائف البربرية والعربية . واثبت أن أستشعارهم لخطر ألفونسو السادس على الوجود الإسلامى فى الجزيرة جاء متاخراً ، حيث كان ألفونسو السادس قد تمكن من الإستيلاء على مملكة بنى ذى النون فى طليطلة .

وتتبعت بالدراسة أنه عندما أيقن ملوك الطوائف البربرية والعربية من خطر تهديدات الفونسو السادس لهم أتفقوا على الإستنجاد بالمرابطين حكام المغرب الأقصى لردع الأذفونش

وقد أثبتت الدور الهام للبربر فى الإستنجاد بالمرابطين حيث كان المظفر عمر بن الأفطس هو أول الداعين للأستنجاد بالمرابطين لوضع حد للمد النصرانى فى الأندلس بعد سقوط طليطله . كذلك توصلت إلى الدور العظيم الذى قام به البربر إلى جانب بنى جلدتهم المرابطن فى الإنتصار على الأفونش فى معركة الزلاقة فى أعقاب العبور الأول الأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لأنقاذ الأندلس ، إلا أن العوامل التى جمعت سائر عناصر المجتمع الأندلسى واتحدث مع جيش المرابطين فى مواجهة الفونسو السادس والإنتصار عليه فى الزلاقة كانت تحمل فى داخلها بذور الفرقة والإنقسا م بين البربر والعرب وقد تجلى ذلك فى العبور الثانى لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لحصار حصن ليبط ، حيث تاكد أنه لا أمل فى الوجود الإسلامى فى جزيرة الأندلس إلا القضاء على الملوك الطوائف وعقد العزم على ذلك . كذلك أشرت إلى دور الفقهاء فى دعوة أمير المسلمين فى الجواز إلى الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف حيث سعى بعضهم إلى التحالف مع النصارى ضد المرابطين كالمتوكل عمر بن الأفطس وامير صنهاجه والأمير عبد الله الزيرى متناسياً ما يدمره الأذفونش للوجود الإسلامى فى الأندلس ومتناسياً الدور الذى قام به المرابطون لدفع خطر النصارى عن بلادهم .

وتناولت بالبحث والدراسة قيام امير المسلمين بجوازه الثالث إلى الأندلس وضم ممالك الطوائف الأندلسية والبربرية موضوع البحث إلى دولبته الكبيرة الشاسعة واضعاً بذلك حد لفساد ملوك الطوائف وطغيان النصارى على حدود الإسلام فى الجزيرة دافعاً دماء جديدة فى شرايين الوجود الإسلامى فى الأندلس وتناولت بالبحث والدراسة بعض اهم مظاهر الحضارة البربرية فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى حيث تناولت أهم مظاهر الحياه الإجتماعية للبربر فى عصر الطوائف وأثبت أن البربر أخذوا بعض المظاهر الحضارية الأندلسية وأثبت أن الحياه الإجتماعية أبرزت شخصية البربر المميزة فيما كانوا يلبسون من ملابس مميزة عن باقى طوائف الأندلس كما كانت لهم أطعمة ومشروبات خاصة بهم إلى جانب إحتفالاتهم بالأعياد والمناسبات الخاصة بأفراحهم الخاصة بالخطبة والزواج كعادة دفن الموتى والسير بالجنائز حيث أثبت أن لهم طقوس خاصة فى كل هذه المظاهر كما تناولت أوجه النشاط الإقتصادى للبربر حيث تعددت مظاهر النشاط الإقتصادى التى شارك فيه البربر فى دور فعال من زراعة وصناعة حتى التجارة .

قأثبت أن البربر على الرغم من كونهم يعملون بالجنديه إلا أنهم كانوا يتقنون أعمال الفلاحة واثبت أنهم نقلوا كثيراً من خبرتهم الزراعية التى اكتسبوها من بلادهم الأصلية المغرب إلىالأندلس كما نقلوا كثيراً من الغرائات إلى الأندلس كما تناولت مساهمتهم بحظ وافر فى الصناعات وأثبت أنهم كانوا على دراية على صناعة النسيج والرخام والمعادن والزجاج والفخار والسفن والسكر والزيوت وصناعة الخمور كما أثبت أن للبربر دور كبير فى النشاط

للتجارى فى الأندلس سواء فى أثناء الفتنة أو عندما أنتزوا فى دويلات مستقلة فى عصر الطوائف وأثبت أن فساد الأسواق فى فترة الفتنة لم يكن البربر هم سببه الوحيد عندما حاصروا قرطبة ولكن يرجع السبب أيضاً إلى سياسة بعض الحكام .

وعندما أنتهت الفتنة وقامت دويلات الطوائف شهدت أسواق الحواضر البربرية رواجاً تجارياً كبيراً .كما تناولت بالدراسة أثر البر بر فى الحياة الأدبية والعلمية وأثبت ان التأثير السلبى للبربر على الحياه الأدبية والعلمية كان مرجعه إلى الحروب الدامية التى خاضها البربر مع أهل الأندلس لذلك كانت مساهمتهم فى الحياه الفكرية ضعيفاً إذ ما قيس بدور العرب وقد تناولت الأثر الإيجابى وأثبت أن إهتمام البربر بالحياه الأدبية والعلمية فى بلاطهم كان نتيجة للتنافس الشديد بينهم وبين باقى الإمارات الأخرى وأثبت تنافسهم على أجتذاب الشعراء والعلماء إلى بلاطهم كذلك اثبت إهتمام حكام الطوائف البربر بعلوم الفقه والحديث والطب والهندسة والحساب والفلك والتاريخ والجغرافيا كما تناولت إهتمام البربر بالمنشأت المعمارية سواء كانت المنشأت ذات صبغة دينية بالمساجد أو ذات صبغة دنيوية مثل القصور والحماماتوغيرها وأثبت الدور الذى قام به البربر فى شتى النواحى الحضارية على الرغم من أن معظم المؤرخين ينفون عنهم المشاركة الإيجابية فى تشييد صرح الحضارة الإسلامية فى الأندلس على أعتبار أن عملهم الوحيد هو الجندية ويصفوهم بأنهم كانوا معولا لهدم الحضارة الأندلسية وأثبت أن البربر ساهموا ولو بقدر بسيط فى تشييد صرح هذه النهضة الحضارية فى الأندلس .

ملحق رقم (١)

نص إعلان ولاية عهد المسلمين لشنجول سنة ٣٩٩هـ

من أنشاء كاتب الرسائل أبو حفص أحمد بن برد

" وهذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد بالله أطال الله بقاءه إلى الناس عامة ، وعاهد الله عليه من نفسه خاصة ، وأعطى به صفقة يمينة بيعة تامة بعد أن أمعن النظر واطال الإستخارة وأهمه ما جعل الله إليه إمامة المسلمين وأتقى حلول الأجل بما لا يؤمن وخاف نزول القضاء بما لا يصرف ، وخشى أن هجم محتوم ذلك عليه ونزل مقدوره به ولم يرفع هذه الأمة علماً نأوى إليه أن يكون بلقاء الله مفرطاً فيها ، ساهياً عن أداء ألحق إليها ، ونظر عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها ممن يستحق أن يسند الأمر إليه ، ويعول فى القيام به عليه بعد أطراد الهوادة و النبرىء من الهوى ،والتحرى للحق ، والتزلف إلى الله جل جلاله بما يرضيه ولن قطع الأواصر واسخط الأقارب ، عاملاً بالشفاعه عنده أعلى من العمل الصالح ، وموقناً إلا وسيلة إليه أزكى من الدين الخالص ، فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده بالخلافة فى فضل نفسه ، وكرم خيمة ، وشرف موكبه ، وعلو منصبه ، مع تقواه وعفافة وحزمه وثقافة من المأمون الغيب ، الناصح الجيب ، النازح عن كل عيب ، ناصر الدولة أبى المطرف عبد الرحمن بن المنصور أبى عامر محمد ابن أبى عامر وفقه الله ، إذا كان أمير المؤمنين قد أبتلاه واختبره ، ونظر فى شأنه وأعتبره فراه مسارعاً إلى الخيرات (مسئولياً على الغايات ، جامعاً للمأثرات ، وارثاً للمكرمات ، يجذب بضبعة إلى أرفع منازل الطاعه ، ويسمو بعينيه إلى أعلى درج النصيحه ومن كان المنصور أباه ،والمظفر أخاه فلا غرو أن يبلغ من سبل البر مدا ويحوى من خلال الخير ما حواه ، مع أن أمير المؤمنين أبقاه الله لكثرة ما طالعه من مكنون العلم ، ووعاة من مخزون الأثر ، أقل أن يكون ولى عهده القحطانى الذى جاء فيه الأثير عن النبى صلى الله عيه وسلم ولا تقوم الساعه حتى يخرج رجل من قحطان يسوق العرب بعصاه ، فلما أستولى عنده الأختيار وتقابلت فيه الأثار ، فلم يجد عنه مذهباً ولا إلى غيره معرجاً ، خرج إليه من تدبير الأمر فى حياته ، وفوض إليه النظر فى مور الخلافة بعد وفاته ، طائعاً ، راضياً مجتهداً ، متخيراً ، غير محاب له ، ولا مائل بهوادة إليه ، ولا شرك نصح الإسلام واهله فيه ، وجعل إلفيه الأختبار لهذه الأمة ، بولاية عهده فيها ، أن أرى ذلك فى بقاء أمير المؤمنين أعزه الله وبعده وأمضى أمير المؤمنين أعزه الله عهده هذا ، وأنفذه واجازه وبتله ، لم يشترط فيه مثنوية ولا خياراً ، وأعطى على الوفاة بذلك فى سره وجهره وقوله وفعله ، عهد الله وميثاقه ، وذمة نبيه محمد صلى الله عليه

ملحق رقم (٢)

نص إعلان ولاية عهد المسلمين من سليمان المستعين إلى أبنه محمد سنة ٤٠٠هـ

من إنشاء كاتب الرسائل أبو حفص أحمد بن برد

" أما بعد فإن أمير المؤمنين لما جلبه الله عليه وحببه إليه من الأجتهاد للمسلمين والنظر لهم والفكر فى عواقبه والحرص على مصالحهم ، والإشفاق من إختلافهم و إفتراق كلمتهم ، ورأى أن يجتهد لهم لممانه ، كما أجتهد لهم فى حياته ، أن يرفع لهم علماً يهتدون به ، وينصب لهم وزراً يلجأون إليه ، وموئلاً يتعطفون عليه ، ويؤلف شكلهم ، ويجمع كلمتهم ، ويلم عتهم ، ويسكن نفرتهم ، ويؤمن روعتهم ، مقتدياً فى ذلك بالأئمة المهتدين ، والخلفاء الراشدين ، الذين نظروا للأمة من بعدهم واشفقوا من إختلاف كلمتهم ، وتفرق مذاهبهم ، وعندما يفجئهم ، مالا محيد لهم عنه ولا بد من بغتات الأقدار ، ونفاذ الأعمار ، الليل والنهار ، فأطال إستخارة الله على وجهه والرغبة إليه فى إمداد ه ، بتوفيقه ومعاضدته بتسديده ، وحمله على مافيه الخيرة له ولة الجميع المسلمين ، وجميل العاقبة فى الدنيا والآخرة ، فألقى الله فى روعة فثبت فى خلدة ، وقرر فى نفسه أن محمداً بن أمير المؤمنين أولى أهل البيت الخلافة بولاية عهد المسلمين ، وغير محاب له ولا أخذ بهوادة فيه ، بل لما قد علمه الخاصة والعامة من تكامل خلال الخير له ، وإجتماع أدوات الفضل فيه وما هو عليه فى دينة وهديه ، ورعيه ، وفضله وطهارة أثوابه ، وعفاف مذهبه وصلب نفسه ، وإكتمال حلمه ، وسعة علمه ، وكمال أدبه ، وإطلاعه بإعباء الخلافة ومعرفته بمعانى السياسه ونفاذه فى التدبير والإدارة ، فأمضى أمير المؤمنين ما استخار الله، لتعالى فيه وزم ، عليه وجعل ولاية عهد المسلمين ، إلى محمد بن المستعين لله أمير المؤمنين ، وهو يعتقد أنه قد خرج لجماعة المسلمين وأن ألزمه الله من حقهم وتبرىء إلى الله مما كلفه من أمرهم وأدى ألأمانه التى حملله الله فى الإجتهاد لجماعتهم وقد ما وجب عليه للأحتياط فى الإختيار لأمامتهم مبتغياً بذلك ثواب الله العظيم ، وفضله الجسيم ونظراً لأمة محمد عليه السلام ، وتحصيناً عليها إحتياطاً لها ، وهروباً من التقصير فى حقها الله يريد وجماعة المسلمين الخير والخيره واليمن والبركة والسعادة والغبطة فى ماوفق أمير المؤمنين له وألهمه إليه وأعلم بذلك من عقد أمير المؤمنين وعهده وما أنفذه من فعله وتقدم إلى أصحاب الصلوات فى جوامع عملك بالدعاء له فى خطب الجمع بما ألأدرجناه طى كتاباً هذا والله يسأل أمير المؤمنين أن يتولاه فى جماعة المسلمين بما فيه الخير له ، وجميل العاقبه فى دينهم ودنياهم وأن يقارضة بجميل لهم وكريم مذهبه فيهم ،

أنه ولى المجاذله بالأحسان عن الإحسان ، والممتن بالفضل والإمتنان ، إنشاء الله وكتب فـــى النصف من جمادى الأخرة سنة ٤٠٠ هـــ " .

نقلاً عن :

ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، ق٢ ، ص ١٤٦، ١٤٨ .